ديمقراطية أبي

فايز مشعل تمو

الإهداء

إلى أبي

فايز مشعل تمو

«أنا لا أصر على إعطاء هوية لما أكتب، عمّدوا بالاسم الذي تختارونه ما سوف يخطه قلمي.

لست أكتب لكي أوافق واحداً من القوانين التي وضعتموها، ولكني كتبت ما كتبت لألبي نداء قلبي.

والقلب لا يعرف قانوناً، أو على الأصح: للقلب قوانينه التي لا تناسب الناس جميعاً».

رسول حمزاتوف

بين مقدمتين:

بين علامتي روح واحدة...!.

ثمة رهبة كبيرة تكاد لا توصف، تمتلكني، كلما وجدتني أمام مهمة تقديم كتاب ما، لاسيما إذا كان إبداعياً، ما يدعوني لأن أنتظر فترة طويلة، حتى أستطيع أن أجدني قادراً على مقاربة عوالم نصوص هذا الكتاب، وما أكثر ما حدث أن انتهت المدة المتفق عليها، بيني ومؤلف الكتاب ما يضطره لطباعة الكتاب دون المقدمة، ما يجعلني أشعر في قرارتي بحزن، وتأنيب ضمير، غير أن ما حدث لي، عندما كلفني فايز التمو بكتابة مقدمة مجموعته القصصية«ديمقراطية أبي» كان جد مضاعف، وذلك لاعتبارات كثيرة، من بينها أن فايز أكثر هؤلاء الذين يكتبون بصمت، إلى الدرجة التي أثرت على تواصله مع عوالم النشر طويلاً. لاسيما إنني أعلم أنه، وبحكم العلاقة الحميمة التي أعتز بها بيني وأسرته على علم بأن شغفه وممارسته للكتابة يعودان إلى وقت مبكر، وأن باكورته الإبداعية إنما تأخرت، عن الطباعة، لظروف كثيرة، منها ما يتعلق بطبيعة هذا الكاتب، ومنها ما يعود إلى الظروف التي مررنا بها خلال عقد ونيف زمني، مضى. واستفحل الأمر بعيد انطلاقة الثورة

السورية، وكان لفايز وأسرة فايز ضريبتها الكبرى فيها، منذ بدايات اشتعال أوارها..!.

أجل. لقد بدت رهبتي أكبر، بعد تكليفي بكتابة مقدمة هذا الكتاب. ولعل، في مقدم الأسباب أن المؤلف نجل صديق عزيز هو الشهيد مشعل التمو الذي قدمت لأول أعماله المطبوعة، بل ولأكثر من عمل يتعلق به، ومنها ذلك الكتاب الذي تناول فترة سجنه، واقترح على الفور، عندما علم بأن رفاقه قد جمعوا ما كتب عنه، فأشار إلي. إذاً، إنني-الآن- أمام تقديم له خصوصيته العالية. خصوصيته المضاعفة. خصوصيته المشددة، وهو أن أقدم لكاتب مبدع، كما فعلت مع والده. ومن حقي أن أحسَّ بالمسؤولية العالية إزاء هذه المهمة الأكثر صعوبة، انطلاقاً من دلالاتها، وتأثيرها النفسي علي.

قبل أن أعود إلى تجربة فايز، القاص، فإن أمراً مهماً، هنا، يفرض ذاته علي، وهو أنني إذ أحتفي و أحتفل بهذا الكتاب على نحو حميمي، مائز، فإن لذلك أسبابه، ومسوغاته، العميقة، لدي. وفي مطلع كل ذلك، أن هذا الكتاب- وتحت عنوانه وهو المهدى إلى الكاتب مشعل التمو- والد المؤلف - يأتي رداً على هؤلاء الذين حلموا بإطفاء صوت هذا الشهيد. إذ إنهم خسروا الرهان. فها هو مشعل نفسه يقرأ، على أوسع نطاق ومدى، لأنه بيننا، أكثر من هؤلاء القتلة. كما أن فايز، بل وأكثر من نجل من أنجال الشهيد مشعل، يتعاطيان الكتابة الإبداعية، وفي هذا ما يخزي هؤلاء السفلة المجرمين، لأن رسالته في الإبداع- وهو القاص كما هو

الكاتب والقائد السياسي- تتواصل، عبر أفراد أسرته، وفي هذا أعظم إنجاز لكاتبنا الشهيد..!.

لا أريد، أن أستغرق كثيراً، في مقدمة هذه المقدمة، نظراً لحساسية الأمر، لاسيما لأن من حق التجربة الإبداعية أن تكون مستقلة عن أبوَّاتها البيولوجية، إلا ضمن دائرة: التأثر، والتأثير، بل و الفضائين البيئي، والمعرفي، وغيرهما، لأن في تجربة فايز ما يستحقُّ أن يشكل ملامحه الخاصة. ليس لأنه يكتب-هنا- ال« ق. ق .ج« التي ربما لم يكتبها والده باللغة العربية. بل لأن العوالم التي يتناولها، و زاوية تناوله لها جديرة بالاحتفاء، من دون أي تردد في قطع- حبل سرتها- عن أي كيان إبداعي آخر، وفي هذا ما دعاني لأستبشر بما قرأت لفايز في حياة أبيه، وبعد غيابه الفيزيولجي، أيضاً..!.

تنتمي نصوص القاص فايز التمو إلى ذلك النوع من نصوص السهل الممتنع. إذ إن متلقيها، المتفاعل، مع عوالمها ليحس ببساطتها، وشفافيتها، من جهة، كما أنه ليستشعر، من جهة أخرى، بأنها تتأسس على ما هو غير عادي، وغير مكرر، ناهيك عن امتلاكها لعنصر الدهشة، وذلك الهارموني الذي يجعل هذا النص المكتوب، باقتصاد لغوي باد قادراً على أن يترك أثره في النفس، بما يحقق المعادلة الإبداعية التي لا تخضع لأحادية التقعيد، بل المنتمية إلى فضاء الإبداع الشاسع، الاستثنائي.

ثمة عفوية واضحة في عوالم نصوص هذه المجموعة. هذه العفوية التي تتأتى من عاملين رئيسين: الخبرة والعمق المعرفي والجمالي، ولهذا

فإن لهذه النصوص علامتها الفارقة التي تكاد لا تذكر بأحد، بل إنها لتحيل إلى الناص نفسه، وفي هذا ما يدل على أصالة موهبة مبدعها الذي يكتب رؤاه، وآلامه، وأحلامه، من دون أن يستعير كل ما يخص غيره، وإن كانت هذه الخصوصية نتاج التفاعل مع المحيط، بل نتاج الوفاء لهذا المحيط. إذ أن الناص ينجح في أن يجعل من ألم الذات ألماً مشاعاً، من خلال تناوله الجمالي له، وفي هذا مكمن لغز الإبداع الفطري الأصيل. الإبداع الذي لا يتخمر إلا في رحاب ذات مرهقة الأحاسيس، لا تستسلم أمام كم معاناتها، بل تتناولها، كعمود فقري، لعالم آسر، ذي سطوة دلالية جمالية ، كما هو شأن أي نتاج إبداعي لافت..!.

ينجح الناص، وإلى حد بعيد، في توظيف لغته اليومية البسيطة، كي تكون لبنات عمارة، يهندسها، كما يليق بتوقيعه الشخصي، بل بما يحفل بإيقاعات روحه. كما أن هذه اللغة التي تبتعد عن الترفية، لاتنسى الترفيه الجمالي، أو المتعة الجمالية، وإن كانت عدته في كل ذلك أدوات بسيطة، عبر نص مضغوط، مكثف، يحاول جاهداً ألا يتكىء خلاله على الشعرية المستعارة، من دون أن يغلق منافذ الشعرية المتولدة من ضمن النص. وهنا، فإننا أمام سمة أخرى، للنص، الذي يتم تقديمه كوثيقة جمالية معرفية، بعيداً عن لغة الخطاب التي قد تنشأ تحت وطأة الألم العظيم الذي ينطلق منه الناص، بعد ألمه العظيم باغتيال والده الذي كان يعد أنموذجاً للكاتب والسياسي اللذين لا يساومان..!.

وأخيراً، فإنه إذا كنت تعاطيت مع الشريط اللغوي للنصوص التي

شكلت مدونة فايز التمو على أنها تنتمي إلى جنس أدبي محدد، إلا أنه كما يبدو لم يفعل ذلك. إذ أنه افتتح مدونته بمقولة لرسول حمزاتوف تقول:

«أنا لا أصر على إعطاء هوية لما أكتب، عمّدوا بالاسم الذي تختارونه ما سوف يخطه قلمي.

لست أكتب لكي أوافق واحداً من القوانين.....، التي وضعتموها ولكني كتبت ما كتبت لألبي نداء قلبي.

و القلب لا يعرف قانوناً، أو على الأصح أن للقلب قوانينه التي لا تناسب الناس جميعاً».

إنه هنا، يعد بكتابة ما هو فوق الجنس الأدبي، حتى وإن تماهى مع أحد أشكاله- وهي: القصة القصيرة جداً- وفي هذا ما يبشرنا بانتظار حفر إبداعي آخر للناص، لاسيما في ظل مرحلة ثورة المعلومات التي باتت تقترح مدونات إبداعية خارج أجناسية..!؟.

إبراهيم اليوسف

7-10-2016

في حضرة والدي

١ – السلطة

استشهد والدي برصاص مسلحين مجهولين.
في المستشفى وقبل أن أغلق عيون أبي رأيت فيهما صورة القاتل وبندقيته، وسمعت صوت والدي يهمس في أذني: «لا تصالح».

٢ – قسوة

دخلت غرفة المشفى حيث والدي، حاولت إيقاظه، لاحظت آثار الطلقات على صدره، أحصيتها ٢..٦...٨...١٦ هذا كثير .....
ابتسمت روح والدي وقالت: بل هذا قليل، فأنا مشعل التمو والدك ولا أقتل إلا بآلاف الرصاصات.

٣- وراثة

بعد استشهاد والدي، ورثت عنه كل شيء تقريباً، مكتبته، حقيبة يده، حاسوبه الشخصي، قلمه، أوراقه البيضاء، فنجان قهوته....
وأيضا نفس رسائل التهديد التي كانت تصله.

٤- رسول

التقيت بشاب يدعو إلى أحد الأديان السماوية، حيث قال: من ينادِ الله عز وجل، سيُرسل له أحد الأنبياء في الحلم ليحميه ويدافع عنه.
ولكن في الحلم لم يزرني أحد، غير طيف والدي؟

٥- مقومات

سألني الحاكم عن مقومات الدولة الأساسية.
بدون تفكير أجبته: هذا سهل..
كل ما تحتاجه دولتكم العلية: لـص وشرطي وعصا وبعض الكلاب ومجموعة خراف وأنـــــا.
هذا ما فهمته من سيرة والدي الشخصية.

٦- الوطن في عيون أمي

سألت أمي: ما معنى وطن؟
أجابت بحسرة: طوال خمسة وثلاثين عاما ووالدك يتحدث عنه، بصراحة أنا لم ألتقه أبدا، وإذا التقيته سأقتله بيدي، لأني أشك بأنه من يقف وراء استشهاد والدك.

٧- إعدام

حكم علي بالإعدام، فانهارت أعصابي، وتشردت أفكاري، وبات جوابي على سؤال الجلاد:

ما هي رغبتك الأخيرة في هذه الحياة؟

مصدر إزعاج وقلق، وكأن السؤال يراد به الموت البطيء.

ولكن عندما تذكرت ما قاله الشهيد مشعل تمو (بشّر القاتل بالقتل فلا مصير له إلا القتل).

كانت رغبتي الأخيرة، هي الإسراع بتنفيذ الحكم.

٨- حنين

قلت لطفل تعلق بوالده كثيراً، لقد أصبحت رجلا، ولا يجوز أن تتعلق بوالدك هكذا، أجابني ببراءة:

وهل هناك أغلى من الأب؟!

ثم تركني لصمتي وأسرع هو إلى أبيه مناديا: بابا.

كنت في أغلب الأحيان أنادي أبي بـ(ماموسته[1]) ولكني أشعر الآن برغبة في أن أناديه بابا وأسرع إليه مثل صديقي (الطفل).

(1) تعني أستاذ بالكردية

٩- ضاع الوطن

الحب والموت والوطن تتواجد هذه الكلمات معاً وبشكل دائم .... في قصائد وكتابات الأدباء .... لكني لم أفهم سبب تواجد الثلاث كلمات معاً.

وبعد استشهاد مشعل تمو فهمت جيداً سبب تواجدها معاً.

مشعل تمو حبك للحياة والوطن كان سبب استشهادك،

وباستشهادك ..... ضاع الوطن.

١٠- كتاب التاريخ

قرأ حفيدي في كتاب التاريخ عن الثورة في بلادي، وجاء يسألني عن مشعل التمو وغياث مطر وإبراهيم قاشوش.

فكان جوابي:

بحنجرة القاشوش غنى الوطن.

بورود غياث أزهر الوطن.

ومن نظارة مشعل أطل الوطن مشرقاً، وعليه فقط بكى وطن.

في حضرة الوطن

لوحات من سورية

لوحة (١)

في كل دول العالم الشعب يختار حاكمه، فقط في سورية الحاكم يختار شعبه!

لوحة (٢)

هناك ثلاثة أنواع من الشهادة من قتل في سبيل أهله أو عرضه أو ماله فهو شهيد، ومن اغتالته يد الغدر والشبيحة لأنه رفض إطلاق النار على المتظاهرين بعد سنة ونصف من الثورة، ومن طالتهم يد الإرهابيين والمخربين «وجهة نظر».

لوحة (٣)

كل من يخرج في مظاهرة، وكل من يشيع شهيدًا، وكل من يتم اعتقاله، وكل من يختار السير على طريق الشهادة أو النصر، فهو مشروع شهيد سهل التحقق!!

لوحة (٤)

ليت الرسول «ص» وخالد بن الوليد وكل من تمنى الشهادة سابقا، ولم ينلها، كان لا يزال على قيد الحياة؛ لأن رغبتهم تتحقق في سورية، فكل من يتمنى الشهادة ينالها هو وأهله وداره وجيرانه!!!!!!!!!!!!!

لوحة (٥)

يخرج الثوار في جمعة تحت اسم: «مُهَلُكم تقتلنا»، ويقصدون المجتمع الدولي، وينسون أن الله أيضا يُمـــــهـل ولا يهمل!!!!

لوحة (٦)

منذ بداية الحياة، الأبناء يشيعون آباءهم، إلا في سورية؛ الآباء يشيعون أبناءهم!!

ابتلاء

سمعت شيخ الجامع يقول: إذا أحب الله عبداً ابتلاه.
فأدركت كم نحن محبوبون عند الله تعالى، لنبتلي بهكذا حكام وهكذا قادة.

أبو عكيد

أبو عكيد، هذا كان اسمه الذي استوحاه من أحد المسلسلات التي كان يعشقها، ولكن مع بداية الثورة، ودخول قوات الأمن والشبيحة إلى الحي، لم يعثروا سوى على شوارب أبو عكيد، وشرواله، الذين تركهما قبل أن يغادر البلاد متنكراً.

الوحدة

أصابتني قذيفة، فتناثرت أشلائي إلى كل مكان، وسال دمي على بياض الثلج، وبعد بضع دقائق، نهضت روحي، نفضت عن نفسها آثار الصدمة، وشرعت في لملمة أجزائي المتناثرة، وحين أنهكها البحث، جلست بجانب ما تبقى من جثتي تبكي وحيدة.

راعي

بعد أن ورث عن أبيه كلاب الحراسة والحمار، شرع باختيار القطيع.

قصة خيالية

بدأت الأم بسرد حكاية قبل النوم لطفلها.. كان يا ما كان، في قديم الزمان، في سالف العصر والأوان، كان هناك اتفاقية تدعى اتفاق هولير وهيئة كردية عليا ومجلس .....

قال الطفل الصغير مقاطعاً: هل هذه القصة حقيقية أم خيالية؟

– لا يا صغيري هي قصة خيال إعلامي.

– أنا أكره القصص الخيالية.

عندها صمتت الأم قليلاً ثم ربتت على صدر ابنها وأخذت تغني له: De Lori Lori [2].

(1) مطلع لأغنية كردية تعني نام نام يا بني نام... قتلوا والدك ....

حراسة ليلية

كل شهر ندفع مبلغ 500 ل.س مقابل شيء ليس حراسة ليلية ولكنه يشبهها، طبعاً الحراسة قائمة على قدمين وساقين، لكن هؤلاء اللصوص الجبناء لو كانوا رجالاً من ظهر رجال، لما سرقوا في أيام العطل وأوقات الاستراحة.

إعادة تعريف

في المقهى المخصص للأدباء والمثقفين، تحدث الشاب بعنجهية عن قصصه ومقالاته والمنتديات التي ينشر فيها، وصفحته الفيسبوكية وكيف أنها تعج بالإعجابات.

بينما الرجل العجوز الذي يشغل طاولة في زاوية المقهى راح يتذكر الصحف والمجلات وفروع الأمن كيف كانت تكافئه بعد كل نتاج ينشر له.

تشابه.... دكتاتور

كثيراً مما قرأت..

(فشل في الرسم، فشل في دخول كلية الهندسة، كانت رغبته أن يكون طبيباً، فشل في تحقيق حلمه، فشل.....).

تمكن من الالتحاق بالكلية العسكرية وتتدرج بسرعة بين رتبها، وبكل سهولة أصبح دكتاتوراً وتسبب بمقتل الملايين من أبناء شعبه، بعد أن نجح وصار رئيساً للدولة.

أقزام

فرح الأقزام على طول ظلالهم المرسومة على الأرض، ولكن لم يدركوا أنهم يسيرون عكس الشمس.

محاكمة

توفي رجل شرقي، وعلى أبواب السماء سُئل:
- أين أفنيت عمرك؟
أجاب : نصفه، أمام المؤسسات والدوائر الحكومية والأفران.
- والنصف الأخر؟
- في البحث عن الحرية.

لغز الشهداء

في اليوم الذي استشهدت فيه، كانت السماء غاضبة جداً، أتذكر برودة الطقس، وأتذكر أني رأيت دمي يسيل في الشارع مختلطاً بمياه الأمطار الغزيرة، ولكن صديقي الذي نجا من الموت ذلك اليوم، مع أنه استشهد فيما بعد، أخبرني أنه في يوم مقتلي ارتدى نظارتي ونظر من خلالها، رأى الطقس فرحاً وجميلاً، كانت السماء تغني والشمس ترقص.

حظر

بعد قانون منع التجمع الذي أصدرته الحكومة، بات يترك ظله في المنزل أو يسبقه بعدة خطوات كلما خرج.

لاجئ

التقيت احد المنجمين، أخبره عن حلم واحد يراودني دوماً، خلال النوم أو في ما يسمى أحلام اليقظة، أرى نفسي جالساً في مكان دافئ وأسمع موسيقى دافئة وتجالسني شقراء وثالثنا شراب دافئ.

كان تشخيصه كالتالي: إما الوسادة تحت رأسك غير مريحة، أو على ما يبدو فإنك تنام بدون غطاء.

أجبته: من جهة الوسادة، اعتاد رأسي الاستناد على حذائي.

أما الغطاء فأنا ألتحف خيمة وعراء صحراء في مخيم اللاجئين.

جدال الأحذية

تذمر قدري الدميم من حذائه الذي ينتعله منذ شهور، وقال مخاطباً الحذاء: مللت انتعالك صيفاً وشتاءً، مع العلم أن للصيف أحذية خاصة كما للشتاء أيضا.

قاطعه الحذاء وأجاب غاضباً: أنا وأنت متشابهان؛ فأنت أيضا كنت مسؤولا رفيعاً مع النظام وأصبحت مسؤولا رفيعاً مع المعارضة، مع العلم أن للنظام رجاله كما للمعارضة أيضا.

نداء

بعد أن تابع برنامج عن جمعيات الرفق بالحيوان والجهد الذي تبذله لحماية الحيوانات المهددة بالانقراض كتب رسالة قال فيها:

نداء إلى جمعيات الرفق بالحيوان، هناك حيوان ناطق في بلادي يدعى الإنسان، سينقرض قريبا إذا لم تتدخلوا!

الكاميرا والمخرج

خرج جميع الشهداء من قبورهم الفردية والجماعية وهم يضحكون.

عاد جميع النازحين واللاجئين إلى ديارهم وهم يضحكون.

قذف المسلحون بأسلحتهم بعيداً وعادوا مواطنين أليفين وهم يضحكون.

خرج جميع المعتقلين من سجونهم وهم يمسحون آثار التعذيب ويضحكون.

عندها ضحك الحاكم ضحكته البلهاء، واضعاً يده على وجهه وهو يردد آه...آه، كنت متأكداً، أن ما يحدث في بلادي ليس إلا، الكاميرا الخفية، وانتشر حراسه في كل مكان، يبحثون عن الكاميرا والمخرج.

مفتاح

بعد تعرض حي اليرموك للقصف بالطائرات، قرر النزوح خارج الوطن، وحرص على أن يأخذ معه مفتاح بيت جده في فلسطين ومفتاح بيته في سورية.

كابوس منحبكجي

أخيراً أعلن الرئيس انشقاقه عن النظام، وانضمامه إلى صفوف الجيش الحر، وبعد وصول الرئيس المنشق وعائلته إلى الأراضي التركية، اعتذر من أهالي الشهداء ووعدهم بمحاكمة علنية وعادلة لكل من ساهم بسفك الدم السوري، وتعويض جميع المتضررين، ووعد فور وصوله الأراضي الفرنسية بتشكيل حكومة انتقالية تضمن إنهاء الأزمة.

فرحب جميع أطياف المعارضة بهذا الانشقاق ووصفوه بالعمل البطولي، والأكثر جرأة على مسار الثورة، وصفقوا له طويلاً.

فخر

في السجن، سألني: ما تهمتك؟ أجبت بفخر: سياسي معارض، وعندما سألته: ما تهمتك أنت؟ حرك مقعده قليلا ورفع رأسه مثل طاؤوس وقال مفتخراً: اختلاس، وبعد عشرين عامًا التقيته مصادفة، سألني عن أخباري، أجبته بفخر: لا زلت معارضاً، وبعد قليل من الصمت، قال: ألن تسألني عن أخباري؟ وقبل أن أسأله، أجاب مفتخراً: أنا الآن عضو في البرلمان!

عريس

كانت مهمته بعد كل مجزرة، هي جمع أسماء الشهداء الذين سقطوا وتوثيقها لتقديمها لمحكمة الجنايات الدولية، كما كان يحلم، فهو من قام بتوثيق أسماء أصدقاء وأقارب له سقطوا جراء القصف أو برصاص قناص.

اختار لنفسه تاريخاً مميزاً، كان 12-12-2012 وخط اسمه بأعلى القائمة المخصصة لتوثيق أسماء الشهداء، ثم قبل يد أُمه وخرج، وبالتزامن مع إغلاقه باب البيت، سمعت الأم صوت رصاص، تذكرت ابنها وهو يردد «اليوم، أنا عريس....».

دفتر الهواتف

فتح دفتر الهواتف على الحرف الذي يبدأ به اسم صديقه، وأثناء ضغطه على الأرقام، مرر شريط سريعاً يعرض ذكرياته مع صديقه.

جاءه صوت أنثوي، فبادر هو:

- أريد أن أكلم أحمد.

سمع بكاءً صامتًا وكلمات دامعة: «أحمد استشهد».

أغلق السماعة بهدوء مرتبك، ولخوفه من سماع نفس الجواب، أغلق دفتر الهواتف، وبدأ يستعيد ذكرياته مع بقية أصدقائه؛ محمد، خالد، سامر، حمزة، عبود.....

رئيس

قال له الجرذ العجوز: ستبقى بيننا إلى أن تستعيد ذاكرتك، وفعلا اعتاد العيش مع الجرذان، فكان يأكل من نفس الحاوية ويشرب من نفس المجرور، ولكن هاجس أن تعود له ذاكرته لم يفارقه، وحياته السابقة ظلت محط تساؤلاته، فكثيرا ما تساءل عن اسمه وكيف كان يعيش وماذا كان يعمل، كل هذه التساؤلات لم تكن تتركه يعيش مرتاح البال، ومقاطع من الصور المرعبة كانت تحضره بشكل دائم، بقي على هذه الحال إلى أن سقط في إحدى رحلات البحث عن الطعام من أعلى الحاوية إلى الأرض وارتطم رأسه بقوة بالأرض، ففتح عينيه، وتذكر أنه كان رئيساً.

دافع

أفرغ رصاصاته في رأس ذلك الطيران الذي قصف المدينة الجامعية، وجلس بعيداً، يراقب الجثة وكلمات الطيار تعاد في مخيلته: «أنا أكره طلاب الجامعات، بضع علامات حالت دون دخولي إلى الجامعة، مما اضطرني للتطوع في الجيش».

نفخ دخان سيجارته، وهو يردد: إذًا تستحق الموت.

قصف

اعتادت الأم، أيام الامتحانات، مرافقة ابنتها إلى الجامعة، وبعد أخذ ورد مع الابنة، تكسب الأم المرافقة، بحجة أنها ستنتظر خارجاً لكي تعودا معا إلى المنزل.

وبعد القصف الذي تعرضت له الجامعة، لم تجد الأم سوى حذاء ابنتها لتعود معه إلى المنزل.

لله في خلقه شؤون

وحدهم الحكام والقياديون، يولدون بدون رؤوس، ولكن ينبت لهم فيما بعد جماجم، اعتادت الانحناء والخنوع.

أما الأحرار فيولدون برؤوس مرفوعة، ولكن تقطع رؤوسهم فيما بعد، لأنها ترفض الانحناء والخنوع.

مجزرة

كان يعلم ابنه الصغير كيف يعد من الرقم واحد حتى الرقم عشرة، وذلك احتاج منه الكثير من الوقت والكثير من الجهد، وبعد المجزرة تعلم الولد كيف يعد من الرقم واحد لغاية المائتين حيث كان الرقم واحد قذيفة من قبل النظام، وباقي الأرقام شهداء سقطوا في المجزرة.

القادر

مع كل يوم يزداد الحاكم دموية وإجرامًا وطغيانًا.
مع كل يوم يزداد عدد الشهداء.
مع كل يوم يزداد عدد الأيتام.
مع كل يوم يزداد عدد النساء الثكالى والأرامل.
وفي كل يوم هناك من يستطيع أن يوقف كل هذا ولكنه يمهل ولا يهمل؟

انشقاق

عاد إلى المنزل، كان حاله مزرياً والدماء تتقاطر من يديه وتوسلات نساء وصرخات أطفال تنتفض من بدلته العسكرية، استقبلته زوجته التي اعتادت على رؤيته بهذا المنظر منذ سنة ونصف، وقالت له: جهزت لك الحمام، فكان في كل مرة يشكرها ويتجه إلى الحمام، ولكن هذه المرة هو من بادر قائلاً: جهزي نفسك ريثما آخذ حمامًا سريعاً، لأني مللت القتل ومللت الاغتصاب، وسأعلن انشقاقي.

تشويه

ألقي القبض على كل من يسير في شوارع المدينة، حاملاً رأسه فوق كتفيه، دون أن يخفيه بين ضلوعه، بجانب القلب تماماً، وطبعاً تم زج هؤلاء المعتقلين في الأقبية والغرف الباردة، ذلك بتهمة تشويه الوجه الحضاري للمدينة.

الحمد لله لم يكن عدد المشُوهيّن كبيرًا.

تاريخ

كلما تاه طفل، أو أضاع أحدهم شيئًا ما، كانت مهمته مناداة أهل المدينة لإيجاد المفقودات.

وعندما اختطفته العصابات المسلحة، لم يتذكر سوى الأطفال، عندها فكر في الشخص الذي سينادي من أجله.

هويتي

سألني الطبيب: متى بدأ الألم عندك؟
أجبته: « وهل مر يوم واحد بدون ألم»؟!
فأدرك بأنني سوري.

تجارة الرقيق

العبودية أو الرق سابقاً هي نوع من الأشغال الشاقة القسرية، حيث كان العبيد يباعون ويُشترون في أسواق خاصة تدعى أسواق النخاسة.

الصينيون استعملوا العبيد في الخدمة المنزلية أو العسكرية، وقدماء المصريين استعملوا العبيد في تشييد القصور الملكية والأعمال الشاقة.

أما العبودية في يومنا هذا هي نوع من التبعية والتَّذَيُّل، حيث يباع ويُشترى العبيد في أسواق السياسة.

الحكام والقياديون وبعض المعارضين السياسيين استعملوا العبيد في التصفيق والتطبيل والتزمير.

وملكية العبيد كانت وما زالت تعود للشخص الذي يدفع أكثر.

تضامن

تكلم مع والدته التي بدأت تشكو نقص المازوت والغاز والخبز وانقطاع الكهرباء وووو...

قاطعها قائلاً: لا تمر دقيقة ولا أفكر فيكم، وهل تظنين أني مرتاح البال وأنا بعيد عن وطني، وبعد أن أنهى المكالمة، رفع صوت الموسيقى وطلب من صديقته الشقراء أن تشاركه الرقص والشراب.

أمنية

سأله المعلم: ماذا تتمنى أن تصير عندما تكبر؟

- أي شيء، إلا يتيم.

تنكر

أُمر الحراس بقتل جميع الرجال، في بلاد انقسم الرجال فيها إلى ثلاثة أنواع:

منهم من قابل الموت، ومنهم من ارتدى هيئة النساء، ومنهم من فضل الهرب على مبدأ أنه ثلاثة أرباع المرجلة.

فأمر الحاكم حراسه بقتل جميع النساء، فتنكر الرجال والنساء على هيئة أطفال.

عندها أُمر الحراس بقطع رؤوس جميع الأطفال.

خلق

احتاج الله فقط سبعة أيام لخلق الكون بكل ما فيه.

ونحتاج إلى آلاف الشهداء للتخلص من حكام ومصفقين ومطبلين ومزمرين خلقهم الله.

شهادة حياة

في طابور الانتظار ..... لمح أحد الأصدقاء ..... اقترب منه ..... سأله عن أخباره .....

أجاب الصديق: الحمد لله.....

أنا وأبي وأمي شهداء، وأنا هنا للحصول على شهادة حياة لأخي... وأنت؟

أنا وأبي وأخي شهداء، وأنا هنا للحصول على شهادة حياة لأمي وأختي.

قبر

منذ أن تعلم قابيل كيفية الدفن، وكل إنسان يخصص له قبر.

أما في وطني، فكل قبر، يخصص له مجزرة تضم المئات من الشهداء.

مهمة

كانت مهمة الطيار المجرم أن يقصف 300 شخص، كلٌ في منزله، إلا أنه وجدهم مجتمعين ينتظرونه في طابور منتظم أمام أحد الأفران في حلفايا[3].

يتامى

اثنان وأربعون عامًا ونحن نهتف أمة عربية واحدة .
مئة عام ونحن نهتف لكردستان.
وما نحن إلا يتامى العرب.
ويتامى أكراد تركيا والعراق.

(3) حارة في إحدى المدن السورية

وطنية

عندما كان شاباً كان يردد النشيد الوطني بصوت عال لكي لا يراه أصدقاؤه التبعيون ويَشون به.

وعندما اندلعت الثورة، كان أول من نادى بإسقاط النظام.

بابا نويل في سورية

بابا نويل الشخص الذي طلب من الأطفال أن يقفوا في طابور منتظم لكي يوزع عليهم الخبز!

كيماوي

رفع أحد أطفال مجزرة الغوطة رأسه وبعد أن تحسس جسده صرخ: يا أيها الأطفال، نحن أحياء! فتح طفل آخر عينيه وقال للأول: أغمض عيونك وأكمل موتك! لكن الأول رد بفرح: انظر؛ لا يوجد ولا نقطة دم واحدة سالت من أجسادنا، إذًا نحن أحياء.

وعندما سمعه بقية الأطفال فتحوا عيونهم متفحصين ثيابهم وأجسادهم وهم يرددون: إنك على حق، نحن أحياء، ولكن أين ألعابنا؟

مسببات

قال الفلاسفة القدامى: لكل داء دواء، ولكل سبب مسبب له.
في بلادي، وحده الحزن، لم يجدوا له مسبباً.

مشاركة

في وطني...
يجمعنا ونحن أحياء حدود وطن نشترك بالعيش فيه.
ويجمعنا ونحن شهداء حدود قبر نشترك بالدفن فيه.

مصالح

سألني أحد الصحفيين عن احترام الدول الأوروبية للإنسان فأجبته كالتالي:
الدول الأوروبية مستعدة لمحاكمة أي إنسان يسيء معاملة الحيوانات، وغير مستعدة لاتخاذ قرار لمحاكمة حيوان «كالرئيس» يسيء معاملة الإنسان.

حفار القبور

حُشد جميع أهالي القرية، في الساحة الكبيرة، وعزل الرجال عن النساء والأطفال.

وبدأ إطلاق النار على النساء والأطفال، أما الرجال فيُسألون عن مهنهم قبل إطلاق النار عليهم، وذكرت تقريبا جميع المهن.

وما أن يذكر الرجل مهنته، حتى يسمع صوتًا يصرخ: نار!

وعندما سُئِلت عن مهنتي، سمعت صوتًا يصرخ: اتركوه؛ فلديه ساعة واحدة فقط لتنظيف الساحة من الجثث وكأن شيئا لم يكن.

تمييز

نبذ التمييز العنصري كان يأخذ معظم وقتي، فما معنى أن يكون الأبيض هو السيد والأسود أو الزنجي هو العبد؟! وما ذنب الإنسان إذا خلق أسود؟! وبسبب نشاطي في الدفاع عن حقوق الزنوج، والدعوة إلى المساواة وإنهاء كافة أشكال التمييز العنصري، تخلى عني جميع أصدقائي.

أما بخصوص ثروتي فقد جنيتها من عملي في نجارة الخشب، وتحديدا عندما بدأت بمشروع: (بيتك أجمل مع المرأة الزنجية)، فقمت بصناعة تماثيل للمرأة الزنجية، ولاقت هذه التماثيل ترحيبًا واسعًا وإقبالا لا مثيل له.

رسالة تهديد

نظر إلى عيني ابنته التي نظرت إليه بدورها وقالت: بابا، كم أنا فخورة بك!

وفي تلك اللحظة بالذات تحول قلمه إلى قائد عسكري، وتحولت كلمات مقالاته وقصائده إلى جيش وقف بوجه الخفافيش والأقزام، تلك التي تطايرت من رسالة التهديد التي وصلته من أشخاص مجهولي الهوية والتاريخ.

نصيحة

كانت تفكر كثيراً وتحب العزلة، وحين قال لها:
الفتاة لم تُخلق لتَعشق بل خُلقت لتُعشق.
انتحرت...

تربية

عندما كان صغيراً، ويريد اللعب مع البنات، كان والده يؤنبه ويذكره بكلمات لازالت عالقة في ذهنه: أنت صبي، ولا يجوز أن تلعب مع البنات! وبعد أن صار شاباً، لم يجد من يلعب معه من الفتيات.

أختي

قال لها: أحبك.
قالت: دعني أفكر!
قال: بسرعة!
وبعد سنوات من الحب.....
قال لها: لقد تسرعت، فأنت مثل أختي.

قاص من ذاك الزمان

كان يكتب الكثير من القصص ولكنه لم يكن ينشر أيًّا منها، لأنه كان يخشى من الحكومة والرقابة الأمنية، فنصحه أحد الأصدقاء بالكتابة والنشر تحت اسم مستعار.

أعجبته الفكرة، فأرسل أول قصة له تحت اسم اختاره له صديقه، وفي الصباح استيقظ على طرقات عنيفة على الباب، كانوا أربعة رجال مدججين بأسلحتهم، اقتادوه إلى أحد الفروع، وبعد أيام من التعذيب، قال له المحقق: نحن نعتذر منك، بصراحة وردنا تقرير يفيد بأنك تتستر على مجرمين ومشبوهين وفارين من القانون وسياسيين معارضين في غرفتك، ولكن بعد تفتيش الغرفة لم نعثر على شيء، عندها رسمت شفتيه ابتسامة، وتذكر الاتفاق بينه وبين شخصيات قصصه، بأنه إذا تأخر عن الغرفة لأكثر من ثلاث ساعات عليهم مغادرة الغرفة.

أقصر قصة قصيرة

قرأت ذات مرة أن أقصر قصة قصيرة كلماتها لم تتجاوز كلمات السطر الواحد، فعزمت على تحطيم هذا الرقم القياسي.

بدون أن أبذل أي عناء كتبت قصة قصيرة عبارة عن كلمة واحدة وبدون عنوان، وهي (كيفك؟)[4].

لكن قصتي هذه واجهت اعتراضًا شديدًا من قبل رجال الأمن والسياسة، فانهال عليها النقاد حاقدين حانقين، وحكموا عليها بالإعدام، ليس لأنها لم تستوف شروط القصة القصيرة، بل كانت الحجة لإعدام قصتي، أنها تسيء للإنسان بشكل عام، وللمواطن الشرقي بشكل خاص، وتحرك في نفسه نزعة عدائية تجاه الحاكم، وتظهر القيمة الحقيقية للإنسان في بلاده.

(4) كلمة بالعامية السورية تعني كيف حالك؟

الحياة

الموت والحزن، يولدان مع أول صرخة ولادة، ويزوراننا كل يوم.
الحزن قد يتمكن منا أحيانا كثيرة.
الموت الذي يحاول كل يوم، إلا أنه لا يتمكن من لقائنا إلا مرة واحدة، وبهذا اللقاء يُسكت الصرخة، التي كانت سبب ولادته.

كِش ملك

تحدثوا كثيرا عن أحجارهم، حتى تبين أنهم مجموعة بيادق، تسقط بسقوط الملك.

عجوز

رأيتها في محطة القطار، كانت تسير ببطء تبحث عن مقعد تريح عليه جسدها، تنثر ابتساماتها لجميع العيون التي تراقبها، وفي القطار جلست على المقعد الذي يقابلني، نظرت إلي طويلا والابتسامة لا تفارقها، تحدثت بكلمات مع أحد الأطفال، ثم نظرت إلى يديها وحاولت إخفاء أظافرها، وحين تنبهت أني أراقبها، قالت مبتسمة: أظافري قد طالت ولا أجد من يقلمها لي! ولكني حافظت على صمتي، ودعوت الله أن أجد من يقص لي أظافري، وأن أجد من أحدثه حين أصبح عجوزاً مثلها.

حاقد

قالت له أمه:

إنك ولد عاق، وإن قلبك مليء بالحقد والكراهية ولن يحبك أحد، وستبقى فاشلًا مهما ارتقيت، وستحقد على الآخرين نجاحاتهم، وإذا أردت أن تعرف نفسك جيدا فقف أمام المرآة وانظر إلى وجهك بتمعن، وستعرف كم أنت سخيف وتافه.

ومنذ ذلك الوقت وهو يعيش بلا رأس وبلا وجه، ولا يعرفه سوى الذين يعيشون مثله بلا رؤوس وبلا وجوه، ولكن مازالت المرآة، كلما وقف أمامها، تقول له: كم أنت سخيف وتافه!.

صحوة ضمير

كان أبو العز موظف الصندوق ومسؤول الحسابات في وزارة التجارة، لكنه أصيب بصحوة ضمير مفاجئة، وبما أن هذا المرض نادر، لكنه موجود، لم يفقد أبو العز الأمل في العثور على العلاج المناسب.

لكثرة سؤاله الموظفين الذين أصيبوا قبله بهذا المرض وجد ضالته لدى إحدى العرافات التي نصحته بدورها: يجب أن تخرج ضميرك من خزنة الوزارة! شفي أبو العز تماما، إلى أن قامت الثورة السورية، عندها أعلن انشقاقه وغادر القطر ملتحقا بصفوف المعارضة، التي وجدت في أبو العز، نظراً لخبرته الطويلة في مجال الحسابات، الرجل المناسب الذي يجب أن يدير خزينة المعارضة.

علم أبو العز أنه أصبح مسؤولاً عن أموال مخصصة للاجئين والنازحين والمشردين من أبناء الوطن، فكانت أول خطوة قام بها أن أودع ضميره داخل الخزينة وتأكد من إقفالها جيداً.

سر المهنة

منذ صغري وأنا أحبذ الطرق القصيرة وأعتمدها في حياتي، وأكثر الطرق وأقصرها تلك التي أرتادها في كل مشاريعي، وهي كانت السبب في كوني الآن وزيراً، هو أن تهمس في أذن رجل الأمن وتترك درج مكتبك مفتوحا أمام المواطنين.

تفضيل

جاءني نبأ موتي تحت التعذيب، وعلي أن أذهب للمشفى العسكري لاستلام جثتي، وعندما أدخلت لغرفة الجثث لم أتعرف بسهولة على جثتي لشدة تشوهها نتيجة التعذيب، حيث كانت ، تمدد بجوارها شاب عشريني لمحت عينه تَرِفّ فأدركت أنه لا يزال على قيد الحياة، فقلت بصوت مبحوح: هذه جثتي، وأنا أشير لجثة الشاب.

خطيب

يجيد الخطابة بلغة غير سليمة، يرفع السلطان ويضيف نفسه ويجر الشعب إلى المجرور.
هذا ما أفهمه من الخطبة قبل أدائي لصلاة الجمعة.

خيانة

حلمت بأني الحارس الشخصي للرئيس، وذات يوم قررت اغتياله.
شكرت ربي حد البكاء، عندما استيقظت وكان كل ذلك مجرد حلم؛ لأن رصاصاتي جميعها انحرفت عنه، وأصابت أصدقائي.

ربيع....

ما هي فصول السنة يا أبي؟
- صيف، خريف، شتاء، ربيـــــ...
هدير طائرة يخترق جدار الصوت، دخان متصاعد، أشلاء متطايرة.
من تحت أنقاض المنزل، أُخرج الأب.
ونبتت زهور الياسمين بعدد الأطفال.

معاناة اختفى منها السرد

تكبير

أكثر من 200 ألف شهيد ومليون لاجئ وآلاف المعتقلين والمفقودين.

عمالة

قبل الثورة لإسرائيل وبعدها لقطر وتركيا.

انفصال

تهمةالكردي وقلق العربي.

تهمة أردوغانية

لذلك الكردي الذي لا يصفق لأحد.

شهيد بإذن الله

كلمات مورفينية، تمنحنا القليل من الصبر للتخفيف من هول المصيبة التي حلت بنا.

اصطياد

فَشل القناص في العثور على جثة طائشة فسارع إلى اصطياد براءة الأطفال، بسكين.

ولا... شيء

التهميش ليس له لون ولا رائحة، هو بكل سهولة لدى البعض ممارسة وأفعال ومواقف.

يا... حيف

أكبر كذبة درسناها في مدارس آل الأسد هي... الوطن العربي!

اللعبة المفضلة

الاستشهاد: أفضل لعبة لدى أطفال سورية.

رخصة

الجثة المجهولة هي طائشة أمام رصاصة القناص المرخصة.

هنا سورية

الإرهاب ..... لا دين له .
الشبيحة ..... لا طائفة لهم.
الارتزاق ..... لا حدود له .